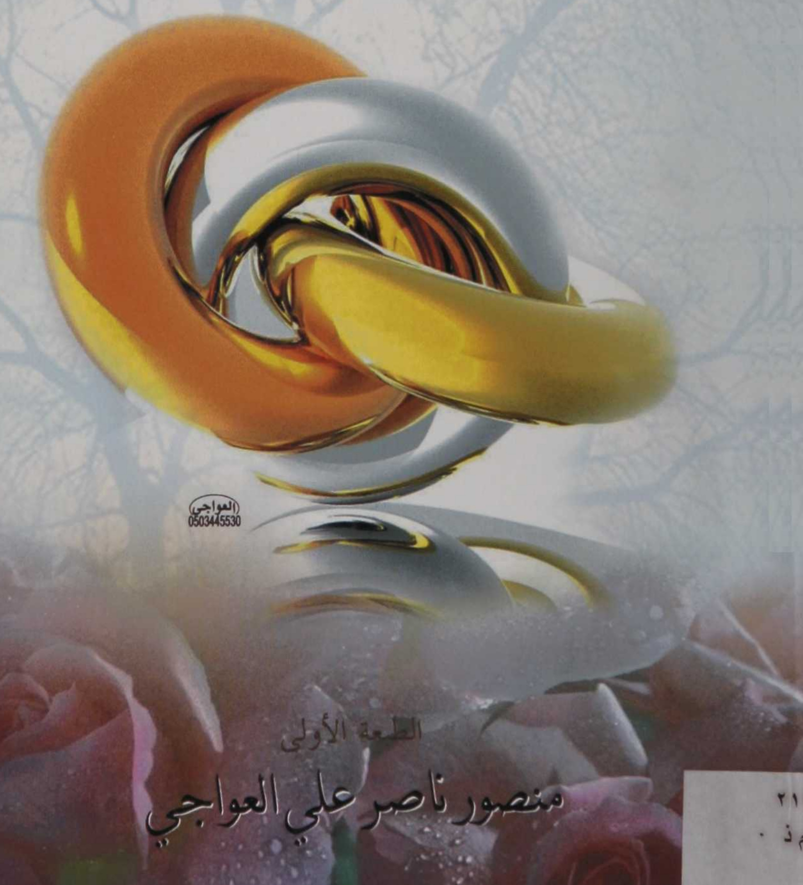
ذكاء النساء

(سرعة بديهة * قوة حجة * رأي وإقدام * حيلة ودهاء)



الطبعة الأولى

منصور ناصر علي العواجي

ذكاء النساء

(سرعة البديهة .. قوة الحجة .. رأي وإقدام .. حيلة ودهاء)

الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م

منصور ناصر علي العواجي

ح   منصور ناصر علي العواجي ، ١٤٢٧هـ
فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
العواجي ، منصور ناصر علي

ذكاء النساء / مصور ناصر علي العواجي

الرياض ،١٤٢٧هـ
٩٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك:٨ـ ٥٤ ـ ٥٠ ـ ٩٩٦٠
١ـ المرأة في الإسلام   ٢ـالأسرة في الإسلام   أ ـ العنوان
ديوي ١ ،٢١٨٩   ١٤٢٧/٣٦٢٣

رقم الإيداع: ١٤٢٧/٣٦٢٣
ردمك: ٨ـ ٥٤ ـ ٥٠ ـ ٩٩٦٠



الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

الحمد لله القائل في كتابه العزيز: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد.

لقد جعل الإسلام المرأة والرجل سواء بسواء من حقوق واجبات وتكاليف، ولم يتميز الرجل عنها إلا بدرجة القوامة وهي درجة تكليف لا تشريف. وفي هذا الكتاب أحببت إبراز الجانب المشرف والمشرق للمرأة بأمثال وشواهد تدل على ذكاء باهر من سرعة البديهة، وقوة الحجة، وإقدام وشجاعة، وحيلة ودهاء.

ثم أنه مهما اجتهدت الحضارة الحديثة في هذا الجانب، فلن تبلغ ما بلغته النساء في صدر الإسلام وعبر تاريخه المجيد، ثم إن هذا جهدٌ مقل مني.. راجياً من الله العزيز القدير السداد والتوفيق.

محبكم/ المؤلف

٢٠/٩/١٤٢٧هـ

زوجي يصوم النهار

عن محمد بن معين الغفاري قال: أتت امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه، وهو يعمل بطاعة الله، فقال لها: نعم الزوج زوجك: فجعلت تكرر عليه القول وهو يقرر عليها الجواب، فقال له كعب الأسدي: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما. فقال كعب: عليَّ بزوجها فأتي به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك. قال: أفي طعام أو شراب؟ قال: لا. فقالت المرأة:

يا أيُّها القاضي الحَكيمُ أرشدهُ   ألهي خليلي عَنْ فراسي مَسْجِدهُ

ولست في أَمْرِ النّساءِ أَحْمُدُهُ

فقال زوجها:

زَهِدتُ في فراشِها وفي الحَجلْ   إنِّي امرؤٌ أذهلني ما قَدْ نَزَلْ

في سُورة النّمل وفي السّبع الطّول   وفي كِتَاب اللهِ تخويفٌ جَلَلْ

فقال كعب:

إنَّ لها حقاً عليك يا رَجُلْ تَصيبُها في أربَعٍ لمنْ عَقَلْ

فاعْطِها ذاكَ ودع عنك العِلَلْ

ثم قال: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فلك ثلاثة أيام ولياهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة. فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب، أفمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما. أذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

حيلة حفصة رضي الله عنها

حدثنا القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، فكان النبي ﷺ إذا سار بالليل سار مع عائشة يتحدث معها، فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين بعيري وأركب بعيرك فتنظرين وأنظر؟ قالت: بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة، وركبت حفصة على بعير عائشة، فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم ثم صار معها، حتى نزلوا، ففقدت النبي ﷺ ، فغارت، فلما نزلت جعلت تدخل رجليها بين الأذخر وتقول: يا رب! سلط عليَّ عقرباً يلدغني رسولك لا أستطيع أن أقول شيئاً.

امرأتك قد ماتت

قال أبو بكر ابن الأزهر: حدثني بعض إخواني أن رجلاً كان بالأهواز، وكان له ثروة ونعمة وأهل، فسار إلى البصرة مرة، فتزوج بها، فكان يأتي تلك المرأة في السنة مرة أو مرتين، وكان للبصرية عم يكاتبه، فوقع كتاب منه في يد الأهوازية، فعلمت الحال، فكتبت إليه: من حميه البصري بأن امرأتك قد ماتت، فالحق، فقرأه ثم أخذ في إصلاح أمره ليخرج، فقالت الأهوازية: إني أراك مشغول القلب، وأظن أن لك بالبصرة امرأة، فقال: معاذ الله، فقالت: لا أقنع بقولك دون يمينك، فتحلف بطلاق كل امرأة لك غائبة أو حاضرة، فحلف لها ظناً أن تلك قد ماتت، فقالت له: لا حاجة لك في الخروج، فإن تلك بانت وهي في الحياة.

جزالةٌ من القول

قال الأصمعي: مات ابنٌ لأعرابية، فما زالت تبكي حتى خدَّد الدمع خدها، ثم استرجعت، فقالت: اللهم إنك قد علمتَ فرط حب الوالدين لولدهما، فلذلك لم تأمرهما ببره، وعرفت قدر عقوق الولد لوالديه، فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما، فأجزه مني بذلك صلاة ورحمة، ولقه سروراً ونضرة فقال لها أعرابي: نِعْمَ ما دعوت له. لولا أنك شببته من

الجزع بما لا يجدي. فقالت: إذا وقعتْ الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه، ولا في القدر منعه، ولي عذري بفضله، فقد قال عز وجل: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

فداك أبي وأمي

استفزتْ امرأة زوجها ثم أعطته ظهرها وصعدت سلم الدار بالمدينة، لم يستطع الرجل السيطرة على نفسه فصرخ فيها: أنتِ طالق إنْ صعدتِ، وطالق إنْ نزلتِ، وطالق إنْ وقفتِ. فرمتْ نفسها على الأرض فقال لها ملهوفاً: فداك أبي وأمي، إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم[2].

ما أحسن هذه الكناية

وقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة فقالت: أشكو إليك قلة

---

(١) البقرة: ١٧٣. كتاب الأذكياء ص (٢٣٨).

(٢) مجلة العربي، العدد (٤٦٩)، ص (١٦٥).

الجرذان. قال: ما أحسن هذه الكناية! املؤوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً[1].

أنا وأنتِ

روى زياد عن مالك عن محمد بن يحيى بن حسان، أنّ جدته عاتبتْ جدّه في قلة إتيانه إياها، فقال لها: إما أنا وأنتِ على قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه؟ قالت: وما قضاء عمره؟ قالت: قضى أن الرجل إذا أتى امرأته عند كلِّ طهر فقد أدّى حقها. قالت: أفَتَرَكَ الناس كلها قضاء عمر وأقمتُ أنا وأنت عليه[2].

امرأة طويلة

قال الجاحظ: رأيت بالعسكر امرأة طويلة القامة جدّاً، ونحن على طعام، فأردتُ أن أمازحها، فقلتُ: انزلي حتى تأكلي معنا. قالت: وأنتَ، فاصعد حتى ترى الدنيا.

---

(١) العقد الفريد ١/ ١٧٥.

(٢) العقد الفريد ٧/ ١٣٤.

سُبَيعة حقنت دماء

اشتهرت سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف بأنها شاعرة من شعراء العرب وتنتمي إلى قريش. وقد اتخذت موقفاً كان له أكبر الأثر في حقن دماء آلاف الرجال في حرب الفجار التي نشبت بين قبيلتي قيس وكنانة، وكانت سبيعة بحكم قرابتها وزواجها تجمع بين الانتهاء إلى العائلتين المتحاربتين.

خرجت سبيعة مع زوجها مسعود تنصب لها خيمة خلف جنده وحين دخل عليها رآها تبكي فقال لها:

- ما يبكيك؟

قالت: أبكي لما عسى أن يصيب قومي.

فقال لها: من دخل خباءكِ من قيس فهو آمن.

وكان مسعود زوجها بهذا التكريم قد خفف عنها العذاب وقامت سبيعة من فورها تجمع كل ما يصل إليها من حبال وأقمشة وتصلها كلها بخيمتها حتى تستطيع استيعاب أكبر عدد. وحين غلب مسعود بن مالك على أمره اندفع إلى سبيعة يستجير بها قائلاً:

- إنا بالله ثم وبكِ.

فقالت: زعمت أنك ستملأ بيتي من أسرى قومي. أجلس فأنت آمن.

وما انتقضت سوى ساعات حتى انقلبت نتائج المعركة وانهزمت قيس فهرع الرجال نحو خيمة سبيعة يستجيرون بها وكان حرب بن أمية قد أجار بسبيعة جيرانها وقال لها:

- يا عمة من تمسك بأجناب خيمتكِ أو دار حولها فهو آمن فنادت سبيعة بذلك فأسرع الرجال إليها فاجتمع خلقٌ كثير من بني قيس حتى ضاق بهم المكان.

وبهذا الموقف وبانتهاء حرب الفجار كانت سبيعة قد حقنت دماء الرجال من القبيلتين.

بما استحق هذا

بكتْ عجوز على ميت، فقيل لها: بماذا استحق هذا منكِ؟ فقالت: جاورنا وما فينا إلا من تحل له الصدقة، ومات وما منا إلا مَن تجب عليه الزكاة.

امرأة قبيحة

وقفت امرأة قبيحة على عطار ماجن، فلما نظر إليها قال: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾(١). فقالت: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾(٢).

سرعة جواب

وقف المهدي على عجوز من العرب، فقال لها: ممن أنت؟ قالت: من طيء، فقال: ما منع طيئاً أن يكون فيهم آخر مثل حاتم؟ فقالت مسرعة: الذي منع الملوك أن يكون فيهم مثلك، فعجب من سرعة جوابها وأمر لها بصلة.

أسماء بنت يزيد (أم سلمة)

هي أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع الأنصاري. وكانت تُكنى أم سلمة، وفدت على رسول الله ﷺ في السنة الأولى للهجرة فبايعته وسمعت حديثه.

(١) التكوير: ٥.

(٢) يس: ٧٨.

تُعتبر أسماء من المحدثات الفاضلات وهي مجاهدة جليلة كانت من ذوات العقل والدين والخطابة حتى لقبوها بخطيبة النساء – وهي تعد بين العرب بمنزلة السيدة «الشفاء» التي كانت تعلم أم المؤمنين «حفصة» الكتابة حيث تصنف «أسماء» بين النساء المتميزات اللواتي لعبن دوراً هاماً أيام الرسول ﷺ لما لها من تأثير بين النساء المتميزات في ذلك العهد، ومكانة رفيعة. فها هي تتقدم النساء وتتزعمهن ويذهبن إلى الرسول ﷺ وتقول: «أنا وافدة النساء إليك إن الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمنا بك وبآلهك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا الجُمع والجَماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو مجاهداً، حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم، وربينا لكم أولادكم أفلا نشارككم في هذا الأجر؟

هكذا حدثت أسماء الرسول الكريم ﷺ بكل ما تعانيه المرأة فهي الزوجة وهي الأم المربية والكاسية وحامية العرض، ومع ذلك فهي تشعر بالإجحاف في حقوقها فتقدمت إلى النبي ﷺ مندوبة تمثل كل النساء وشرحت أحوالهن دون أن تغفل الحجة الرئيسية عندما بدأت قولها: إن

الله عز وجل بعثك إلى الرجال والنساء كافة.. كانت إلى جانب دقة منطقها متميزة بفصاحة وبلاغة وإيجاز في حديثها كما كان في حديثها جرأة ومقدرة وهذا يعطينا صورة صادقة عن مكانة المرأة وكيف أنصفها الإسلام.

وما انتهت أسماء «خطيبة النساء» من حديثها إلى رسول الله ﷺ حتى التفت النبي ﷺ إلى أصحابه ثم قال: «هل سمعتم بمقالة امرأة أحسن من سائلة في أمر دينها من هذه؟».

فقالوا: «يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا؟».

فالتفت النبي ﷺ إليها وقال: «افهمي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء أن أحسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله».

وقد اعترف النبي ﷺ بحق هذه المرأة في أن تتزعم النساء وتوحد كلمتهن وقد أجابها على طلبها حين قال: «افهمي أيتها المرأة واعلمي من خلفك من النساء» أي أنه كان صلوات الله عليه يعترف بأنها لا تعبر عن رأيها وحدها بل عن رأي الكثيرات من النساء اللواتي يقفن خلفها وهذا يصور مدى ما منحه الإسلام للمرأة من تحرر وانطلاق في طريق الحياة والإيمان.

روت أسماء بنت يزيد عن النبي ﷺ واحد وثمانين حديثاً شريفاً. وروى عنها ابن خالتها «محمود بن عمرو الأنصاري» وأبو سفيان، «مولى

ابن أحمد» و«عبد الرحمن بن عبد الرحمن ثابت الصامت الأنصاري»، و«مجاهد بن جبير» وغيرهم.

امتد العمر بأسماء بنت يزيد فقد شهدت «موقعة اليرموك» سنة ١٥هـ وشاركت فيها فكانت مجاهدة جليلة وتذكر الروايات أنها قتلت تسعة من جنود الروم بعمود خبائها (خيمتها) وعاشت بعد ذلك دهراً رضي الله عنها.

دمعة كاللؤلؤ الرطب

عزم محمد بن عبد الله بن ظاهر على الحج، فخرجت إليه جاريته الشاعرة – وكانت تحبه كثيراً – فبكت لما رأت آلة السفر فقال محمد بن عبد الله:

دمعـــة كـــاللؤلؤ الرطـــب   عـــلى الخـــد الأســـيل
هطلـــت في ســـاعة البـــين   مـــن الطـــرف الكحيـــل

ثم قال أجيزي فقالت:

حـــين هـــمّ القمـــر البـــا   هـــر عنـــا بـــالأفول
إنـــما يُفتـــضحُ العُـــشَّا   قُ في وقـــت الرحيـــل[1]

(١) تحفة العروس، ١٢٣.

جارية بارعة الجمال

وقيل: عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال، فائقة في الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها، فقال لمولاها: خذ بيدها وارجع، فلولا عرج بها لاشتريتها. فقالت الجارية: يا أمير المؤمنين، إنه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه، فأعجبه سرعة جوابها وأمر بشرائها [1].

انطقها الحق

قال الشِّيبَاني: جلس المأمون يوماً للمظالم، فكان آخرُ مَنْ تقدم إليه وقد هَمَّ بالقيام – امرأة عليها هيئةُ السْفَر، عليها ثياب رَثَّة.

فوقفت بين يديه وقالت: السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمونُ إلى يحيى بن أكثمْ. فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أَمَةَ الله، تكلمي في حاجتك؛ فقالت:

يا خيرَ منتَصِفٍ يُهْدَى له الرَّشَدُ ... ويا إمَاماً به قد أشرَقَ البلَدُ

تشكو إليك عميدَ القوْمِ أَرْملةٌ ... عَدَا عليها فلم يُترَك لها سَبَدُ

وأبْزَّ مني ضيَاعي بعدَ منْعَتها ... ظُلْماً وفُرِّق منى الأهلُ والولدُ

(١) المستطرف ١/ ٨٥.

فأطرق المأمونُ حيناً، ثم رفع رأسه إليها، وهو يقول:

في دُونِ ما قُلْتِ زال الـصبر والجلـدُ عنى؛ وقُرِّح منِّي القلـبُ والكبـدُ
هـذا أَوانُ صـلاةِ العـصرِ فانـصرِفي وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعِـدُ
والمجلس السبتُ إن يُقْضَ الجلـوس لنـا نُنْصِفْكِ منه؛ وإلاَّ المجلس الأحـد

فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أوَّلَ من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام، أين الخصمُ؟ فقالت: الواقفُ على رأسك يا أميرَ المؤمنين - وأومات إلى العباس ابنه.

فقال: يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجْلسه معها مجلس الخصوم. فجعل كلامُها يعلو كلامَ العباس، فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمةَ الله؛ إنكِ بين يدَيْ أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك، فقال المأمون: دَعْها يا أحمد، فإنّ الحق أنْطقَها وأخرسه. ثم قضى لها برد ضَيعتِها إليها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغِر [1] لها ضيعتها ويُحْسِن معاونتها، وأمرَ لها بنفقة.

---

(١) يوغر لها: أي يجعلها من غير خراج.

الخنساء وأولادها الأربعة

الخنساء بنت عمرو بن الحارث. عاشت شطر حياتها في الجاهلية وشطرها الآخر في الإسلام، وضربت في كلا الشطرين أروع الأمثال في البطولة ورجاحة العقل والثقافة.

والخنساء صحابية جليلة وفدت مع قومها من بني سليم وأسلمت معهم، وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها فيستنشدها فيقول: هيه يا خناس، ويومئ بيده.

ها هم المسلمون يحشدون جندهم ويعدون عدتهم، وهذه آلاف الإبل محملة بالميرة والعتاد، والخيل المسومة يملأ صهيلها الآفاق، وهذه كتائب المجاهدين يتبع بعضها بعضاً زحفاً إلى القادسية، وهذه بنود الإسلام وأعلامه تخفق في سماء البيداء كل قبيلة تزحف تحت علمها مسارعة إلى تلبية الجهاد. وهذه هي الخنساء مع بنيها الأربعة تزحف مع الزاحفين وتصل كتائب المقاتلين أرض العراق وتتوقف قرب الكوفة وقد علا الغبار الثائر من سنابك الخيل وحوافر الأنعام، واختلط ضجيج الناس بصهيل الخيول.. وأخذ ذلك الضجيج يخف قليلاً والشمس تميل نحو الغروب ويزحف الليل في عباءته السوداء وتوقد النيران هنا وهناك ويطمئن كل مقاتل إلى سلاحه ودرعه ويصلح من شأنه فغداً سيلقون

الفرس وسيكون كل جندي رهين شيئين لا ثالث لهما: الموت أو الشهادة.

وفي خيمة من آلاف الخيام، جمعت الخنساء بنيها الأربعة لتلقي إليهم بوصيتها فقالت:

(يا بنيَّ أسلمتم طائعين وهاجرتم مختارين، والله الذي لا إله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم ولا فضحت خالكم ولا هجنت [1] حسبكم، ولا غيرت نسبكم، وقد تعلمون ما أعده الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، يقول الله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾.

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم متبصرين بالله على أعدائه منتصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقيها واضطرمت لظى على ساقيها (نزع الروح) حلت ناراً على أوراقها (أغطية الشيء) فتيمموا وطيسها وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها [2] تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة).

---

(١) هجنت: قبحت.

(٢) خميسها: جيشها.

فلما أشرق الصبح واصطفت الكتائب وتلاقى الفريقان حمل أولهم على من أمامه من الفرس وهو ينشد قصيدة طويلة ختمها بقوله:

فـــأنتم بـــين حيـــاة صـــالحة أو ميتـــة تـــورث غـــنماً رابحـــة

ثم حمل الثاني وهو ينشد قصيدة منها:

فباكروا الحـرب حمـاة في العـدد إمـا لفـوز بـارد عـلى الكبـد

أو ميتـــة تـــورثكم عـــز الأبـــد في جنة الفردوس والعيش الرغد

ثم حمل الثالث وهو ينشد قصيدة منها:

حتـــى تلقـــوا آل كـــسرى لفـــاً أو يكشفوكم عن حمـاكم كـشفاً

إنا نرى التقصير مـنكم ضـعفاً والقتـــل فـــيكم نجـــدة وزلفـــى

فقاتل حتى استشهد.

وتقدم الرابع فأنشد كما أنشد إخوته قصيدة من شعر الحماسة.. فقاتل حتى قُتل!.

ترى ماذا يكون وقع الخبر على الخنساء التي وقفت على باب خيمتها تنتظر أخبار بنيها وأخبار المجاهدين؟

لقد جاءها النبأ بالإستشهاد، وكانت هذه الكلمة تلقى عند المؤمنين ما تلقاه كلمة البشرى والحسرة في القلوب، لقد قالت حينما بلغها الخبر:

- «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته».

كلمة موجزة لكنها عظيمة المعنى بعيدة الأثر في قلوب المؤمنين.

جعلت تحت رأسه مخدة

وضع المعتضد رأسه في حجر بعض جواريه، فجعلت تحت رأسه مخدة ونهضت، فلما انتبه قال: لم فعلت ذاك وأكبره؟ فقالت: كذا علمنا أن لا يقعد قاعدة بحضرة من ينام، ولا ينام بحضرة قاعد، فاستحسن المتعضد ذلك منها واستعقلها.

ذكية شاعرة

بلغنا عن غريب، وكان يقال أنها ابنة جعفر بن يحيى البرمكي، وكانت منشدة ذكية شاعرة اشتراها المعتصم بمائة ألف وأعتقها، فكتبت إلى بعض الناس: أردت ولولا ولعلي، فكتبت تحت «أردت» ليت، وتحت «لولا» ماذا، وتحت «لعلي» أرجو، فمضت إليه.

امرأة من الخوارج

قال الحجاج لامرأة من الخوارج: والله لأعدّنكم عدّاً ولأحصدنّكم

حصداً!

قالت له: الله يزرع وأنت تحد، فأين قدرة المخلوق من الخالق [١].

(أجيبيه يا خُناس)

هي أم عمرو تُماضِر بنت عمرو بن الحارث السليميَّة الملقَّبَة بالخنساء، من أهر شواعر العرب. وقد أجمع علماء الشعر أنه لم تكن امرأة أشعر منها وشعرها كلّهُ في رثاء أخويها معاوية وصخر ولا سيَّما صخر لما خبرت من جودِه وحنانِه وما اشتهر به من الشجاعة والحلم والإقدام، وكان أخواها قد قتلا كلّ منهما في غارة فأخذت ترثيهما بالشعر البديع المتين المبني السامي المعنى أوحاه قلب مقرَّح حزناً وذائب لوعةً وأملاهُ لسان فصيح اللهجة خلّابُ المنطق.

واشتهر رثاؤها في أخويها وعظم مصابها بهما حتى ضرُب بها المثل في قبائل العرب.

وأنشدت الخنساء في عكاظ بين يدي النابغة الذبياني فأعجبهُ شعرها وقال لها: «اذهبي فأنتِ أشعر من كل ذات ثديين. ولولا أن هذا الأعمى

---

(١) العقد الفريد، ٤/ ٩٦.

(يعني الأعشى) أنشدني قبلكِ لفضّلتك على شعراء هذا الموسم».

فسمعهُ حسَّان بن ثابت فغضب وقال: «أنا أشعر منك ومنها».

فالتفت النابغة إلى الخنساء وقال: «أجيبيه يا خُناس».

فأقبلت عليه وقالت: «ما أجود بيتٍ في قصيدتك هذه التي عرضتها آنفاً؟

قال: قولي فيها:

لنا الجفنات (١) الغرُّ يلمعن في الضحى وأسيافنا يقطرن من نجدةٍ دماً

قالت: ضعّفت افتخارك وأنزرتهُ في ثمانية مواضع في بيتك هذا».

قال: وكيف ذلك؟

قال: قلت: (لنا الجفنات) الجفنات ما دون العشرة ولو قلت «الجفان» لكان أكثر. وقلت (الغرّ) والغرّة بياض في الجبهة ولو قلت «البيض» لكان أكثر اتساعاً. وقلت (يلمعن) واللمعان شيء يأتي بعد شيء ولو قلت «يشرقن» لكان أكثر لأن الإشراق أدوم من اللمعان. وقلت (بالضحى) ولو قلت «بالدجى» لكان أبلغ لأن الضيف أكثر طروقاً

(١) جمع جفنة وهي القصعة.

بالليل. وقلت (أسياف) والأسياف ما دون العشرة ولو قلت «سيوف» لكان أكثر. وقلت (يقطرن) ولو قلت «يجرين» لكان أكثر أنصباباً. وقلت (دماً) والدماء أكثر من «الدم».

فسكت حسان ولم يُحرّ[1] جواباً.

وشعرها الذي أنشدته النابغة هو قولها ترثي صخراً:

قــذى بعينــك أم بــالعين عُــوَّارُ
أم ذرَّفَـت إذ خلـت مـن أهلهـا الـدار

تبكي لصخرٍ هـي العَـبْرى وقـد ولهـت
ودونــهُ مــن جديــد الــتُربِ أســارُ[2]

تبكـي خنـاسٌ عـلى صـخرٍ وحـقَّ لهـا
إذ رابهـــا الـــدهرُ إن الـــدهر ضرَّارُ[3]

يـــا صـــخر ورَّاد مـــاءٍ قـــد تنـــاذرهُ
أهـــلُ المـــواردِ مـــا في ورْدِهِ عـــارُ

---

(١) يرد.

(٢) العين العبرى التي لا تجف دموعها وقد ولهت أي استولى عليها الجزع والحزن وأستار القبر ترابهُ وصفائحه.

(٣) حق لها وجب لها البكاء والضراء الشديد الشرّ ورابها وأوجعها وأحزنها.

وإن صخراً لوالينا وسيّدنا
وإن صخراً إذا نشتو لنحَّارُ
وإن صخراً لمقدامٌ إذا ركبوا
وإن صخراً إذا جاعوا لعقَّارُ [١]
وإن صخراً لتأتمُّ الهُداةُ بهِ
كأنهُ علمٌ في رأسه نارُ [٢]
حمّالُ ألويةٍ هبّاطُ أوديةٍ
شهّادُ أنديةٍ للجيش جرّارُ

ولها في الرثاء البديع القصائد الكثيرة الشهيرة المطبوعة التي لا يكاد يلحق شأوها فيها لا حق.

---

(١) المقدام الذي يتقدم الفرسان في حروبهم. والعقار: كالنجار.

(٢) تأتم الهداة به: تتخذه الأدلاء إماماً والعلم الجبل.

أترغبين في التزويج

قال الصولي، قال العتبي: رأيتُ امرأة أعجبتني صورتها، فقلت: ألك بعل؟ قالت: لا. قلتُ أفترغبين في التزويج؟ قالت: نعم، ولكن لي خصلة أظنك لا ترضاها. قلت: وما هي؟ قالت: بياض برأسي. قالت: فثنيتُ عنان فرسي وسرتُ قليلاً، فنادتني أقسمتُ عليك لتقفنّ، ثم أتتْ موضع خالٍ، فكشفت عن شعر كأنه العناقيد السوناي، فقالت: والله ما بلغتُ العشرين، ولكني عرَّفتُك أنّا نكرهُ منك ما تكره منا. قالت: فخجلتُ وسرتُ وأنا أقول:

فجعلتُ أطلبُ وصْلها بتملّـقٍ والشيبُ يغمزها بأن لا تفعـلي

أتيك من بلاد شاسعة

قال الأصمعي: أتت امرأة حاتم بن عبد الله ابن أبي بكرة، فقالت له: أتيتك من بلاد شاسعة ترفعني رافعة وتخفضني خافضة لِمُلِمّات من الأمور حللن بي فبرين لحمي ووهن عظمي وتركنني والهة كالحريض. قد ضاق بي البلد العريض، هلك الوالد وغاب الوافد وعدم الطارف والتالد. فسألتُ في أحياء العرب عن المرجو سببه، المحمود نائله، الكريم

شمائله، فدللتُ عليك وأنا امرأة من هوازن، فافعل بي أحد ثلاث، إما أن تقيم أودي، وإما أن تحسن صفدي، وإما أن تردني إلى بلدي، فقال: بل أجمعهنّ إليك وحبّاً وكرامة [1].

عقل الخنساء ابنة عوف

حكى الأصمعي قال:

لما بلغ الحارث بن عمرو بن حجر ملك كندة، جمال الخنساء ابنة عوف، وعقلها وأدبها دعا امرأة يُقال لها أم عصام، وكانت ذات عقل ومعرفة، وأمرها أن تذهب لتعرفها، إن كانت كما سمع أو دون ذلك فذهبت إلى أم الخنساء واسمها إمامة وأعلمتها ما قدمت بسببه، فأرسلتها إلى مضرب [2] ابنتها وكانت في ناحية عنها فلما رأتها وسمعت كلامها خرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع.

فلما رآها الحارث قال: ما وراءكِ يا أم عصام؟

قالت: أيها الملك صرح المخض عن الزبد رأيت جبهة كالمرآة

---

(١) كتاب الأذكياء، (٢٣٨).

(٢) المضرب: الخيمة الكبيرة.

المصقوله، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة [1]، إن أرسلته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد حلاها الوابل [2]، وحاجبين كأنما خطَّا بقلمٍ أو سودا بحمم، تقوسا على مثل عين الظبية العبهرة [3]، التي لم يذعرها قابض ولا راعتها قسورة [4]، بينهما أنف كحِّدِّ السيف المصقول، لم يعبها قصر ولا طول، حفَّت به وجنتان كالأرجوان في بياض كالجمان [5]، شق فيه فم كالخاتم، طيب المبتسم لذيذ الملتثم، تُقلِّب فيه لساناً يبين عن عقلٍ وافر، وجوابٍ حاضر تلتقي دونه شفتان حمراوان يجلبان ريقاً كالشهد ركب ذلك في رقبة بيضاء كالفضة، على صدر كتمثال دمية، يتصل به ذراعان وعضدان، ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يحس، ركب فيهما كفان رقيق قصبهما، لين عصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل نبت في ذلك الصدر ثديان كالرمانتين يخرقان عليها ثيابها ويمنعانها أن تتقلد سخابها تحت ذلك بطن طوي كطي القياطين [6] المدمجة، كسي عُكناً [1]

---

(١) المضفورة: المجدولة.

(٢) الوابل: المطر الشديد.

(٣) العبهرة: هي التي جمعت الحسن والجسم والخلق.

(٤) القسورة: تأنيث لصفة الأسد القسور.

(٥) الجمان: اللؤلؤ.

(٦) القياطين: حبال تفتل من خيوط الحرير ونحوه.

كالقرايس المدرجة تحاط بتلك العكن صرة كالمدهن المجلو خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي إلى خصر، لولا رحمة الله لانتثر، لها كفل [٢] يقعدها إذا نهضت، كأنه دعص [٣] الرمل، لبده [٤] سقوط الطل [٥] تحته فخذان كأنما حشيا ريش نعام، ركبا على ساقين عبلين [٦]، يُرى من صفائهما مخ عظامهما، يحمل ذلك كله قدمان لطيفان كحرف اللسان، فتبارك الله مع صغرهما، كيف يطيقان حمل ما فوقهما.

فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجه، وبعث صداقها فزوجت به، فلما أرادوا أن يحملوها إن زوجها، أقبلت عليها أمها توصيها، فكان مما أوصتها به أن قالت لها:

«أي بنية.. إن الوصية لو تُركت لفضل في أدب، لتركت لك. ولكنها تذكرة للعاقل ومعونة للجاهل. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال

---

(١) العكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

(٢) الكفل: العجز.

(٣) الدعص: كثيب الرمل المجتمع.

(٤) اللبد: المتلبد من الشعر ونحوه.

(٥) الطل: الندى.

(٦) عَبِل وعَبُل: ضخم.

خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية.. إنكِ فارقت الحواء الذي منه خرجتِ، وخلفتِ العش الذي فيه درجت إلى وكرٍ لم تعرفيه وقرينٍ لم تألفيه فأصبح بملكه إياكِ رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.

أي بنية.. إحفظي له عشر خصال يكن لكِ ذخراً وذكراً فأما الأولى والثانية الصحبة له بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، وأما الثالثة والرابعة التعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب الريح، والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فإن حرارة الجو ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ بماله والإرعاء على حشمه وعياله لأن الاحتفاظ بالمال من حسن الخلال ومراعاة الحشم والعيال، من الإعظام والإجلال وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سراً ولا تعصي له أمراً فإنكِ إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره، وإن عصيتِ أمره أو غرتِ صدره ثم إتقي – مع ذلك – الفرح بين يديه إذا كان ترحاً والاكتئاب عنده إن كان فرحاً فإن الخصلة الأولى من التقصير، والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً وأكثر ما تكونين له

موافقة يكن أطول ما يكون لكِ مرافقة واعلمي أنكِ لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواكِ فيما حببتِ وكرهتِ والله يخير لك».

فقالت: والله يا أماه، ما أمرتِ بخيرٍ إلا وأنا ممثلته بين عيني ولا نهيت عن شرٍ إلا وأنا مطيعة لما أشرت به عليَّ.

فحُملت إليه فحسن موقعها منه وعظمت عنده وولدت له السبعة الذين ملكوا اليمن بعده وهم: مُسْلمَةُ، وحُجر، وشرحبيل، ومعد يكرب، وعمرو، والفتاك، وجَلْهَمَة.

عاجلها بالقتل

قيل: أُتي الحجاج بامرأة من الخوارج فقال لأصحابه: ما تقولون فيها؟ قالوا: عاجلها بالقتل أيها الأمير. فقالت الخارجية: لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك يا حجاج، قال: ومن هو صاحبي؟ قالت: فرعون، استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا: أرْجه وأخاه[1].

---

(١) المستطرف ١/ ٨٦.

سقط الدرهم

أعطتْ امرأة جاريتها درهماً، وقالت لها: اشتري هريسة، فرجعتْ، فقالت: يا سيدتي، سقط الدرهم مني، فضاع، فقالت: يا جارية تكلمينني بفمك كله وتقولين ذهب الدرهم، فأمسكتْ الجارية نصف فمها بيدها، وقالت بالنصف الآخر: وانكسرتْ يا سيدتي الزبدية.

الأمير يكلمك

أتي للحجاج بامرأة من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه، فقيل لها: الأمير يكلمك وأنت لا تنظرين إليه. فقالت: إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه.

وصية أم لابنها المسافر

من كتاب «جواهر الأدب» للسيد أحمد الهاشمي:

وصية بعض النساء العرب إلى ابنها وقد أراد السفر:

قال أبان بن تغلب – وكان عابداً من عباد أهل البصرة: شهدت أعرابية وهي توصي ولداً لها يريد سفراً وهي تقول له:

أي بني: إجلس أمنحك وصيتي وبالله توفيقك. فإن الوصية

أجدى عليك من كثيرٍ عقلك.

قال أبان: فوقفت مستمعاً لكلامها مستحسناً لوصيتها فإذا هي تقول:

أي بني: إياك والنميمة فإنها تزرع الضغينة وتفرق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضاً وخليق ألا يثبت الغرض على كثرة السهام، وقلما اعتورت [١] السهام غرضاً إلا كلمته [٢]، حتى يهي [٣] ما اشتد من قوته.

وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريماً، يلن لهزتك ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها.

ومثل لنفسك مثال ما استحسنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه.

ومن كانت مودته بشره، وخالف ذلك منه فعله، كان صديقه منه، على مثل الريح في تصرفها، والغدر أقبح ما تعامل به الناس بينهم، ومن جمع الحلم والسخاء فقد أجاد الحلة ريطتها [٤] وسربالها [١].

---

(١) اعتورت: تداولت.

(٢) كلمته: جرحته.

(٣) يهي: يضعف.

(٤) الريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ونسجاً واحداً، كل ثوب يشبه الملحفة.

أبكر أنتِ

قال الجاحظ: قلتُ لجارية ببغداد: أبكر أنتِ؟ فقالت: نعوذ بالله من الكساد[٢].

أبكر أنتِ أم إيش

عرض على المتوكل جارية، فقال لها: أبكر أنت أم إيش؟ فقالت: أم إيش يا أمير المؤمنين، فضحك وابتاعها.

أنتِ امرأتي

أراد شعيب أن يتزوج امرأة، فقال لها: إني سيئ الخلق، فقالت: أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيئاً. قال: أنتِ امرأتي.

---

(١) السربال: القميص أو كل ما يُلبس.

(٢) تحفة العروس، ص (١٥٢).

امرأة في خباء

قال تميم بن عدي اليربوعي:

كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق حتى نزلنا بعد أيام منزلاً، فطلبنا طعاما فلم نجده ولا قدرنا عليه، فقال عبد الله لوكيله:

أخرج إلى هذه البرية، فلعلك تجد بها راعياً معه طعام، فمضى الوكيل ومعه غلمان، فأطالوا التوقف، فلما كادوا يرجعون لاح لهم خِباء، فأمُّوه، فوجدوا فيه عجوز، فقالوا لها: هل عندكِ طعام نبتاعه منكِ؟

فقالت: أما طعام بيع فلا، ولكن عندي أكلة لي، وأولادي إليها أمسُّ حاجة.

قالوا: وأين أولادِك؟

قالت: في رعيهم، وهذا وقت عودتهم.

قالوا: فما أعددتِ لهم؟

قالت: خبزة تحت مَلَّتها [1]، انتظر بها أن يجيئوا.

قالوا لها: فجودي لنا بنصفها.

---

(١) الملة: الجمر. والملى: الخبزة المنضجة في الرماد الحار.

قالت: لا، ولكن بها كلها.

قالوا: ولِمَ منعتِ النصف وجُدتِ بها كلها، ولا خبز عندكِ غيرها؟

قالت: إن إعطاء الشطر (١) من خبزة نقيصة، فأنا أمنع ما يُنقصِني، وأجود بما يرفعني.

فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم إليها وانصرفوا، ولم تسأل من هم ولا من أين جاؤوا.

فلما أتوا عبد الله، وأخبروه خبر العجوز عجب من ذلك، وقال: ارجعوا إليها، فاحملوها في دعة وأحضروها.

فرجعوا إليها، وقالوا لها: إن صاحبنا أحبَّ أن يراكِ.

قالت: ومن صاحبكم؟

قالوا: عبد الله بن العباس.

قالت: ما أعرف هذا الاسم!

قالوا: العباس بن عبد المطلب، وهو عم النبي ﷺ.

قالت: والله هذا الشرف العالي، وذروته الرفيعة، وماذا يريد مني؟

قالوا: يريد أن يُكافئك على ما كان منكِ.

---

(١) الشطر: النصف.

قالت: لقد أفسد الهاشمي ما أَثَّلَ [١] له ابن عمه عليه السلام، والله لو كان ما فعلت معروفاً، ما أخذت عليه ثواباً، وإنما هو شيء يجب على كل إنسان أن يفعله.

قالوا: فإنه يجب أن يراكِ ويسمع كلامكِ.

قالت: أصير إليه، لأني أحبُّ أن أرى رجلاً من جناح النبي ﷺ وعضواً من أعضائه.

فلما سارت رحَّب بها وأدنى مجلسها، وقالت: ممن أنتِ؟

قالت: من كلب!

قال: كيف حالكِ؟

قالت: لم يبقَ من الدنيا ما يفرِّح إلا وقد بلغته، وأني الآن أعيش بالقناعة، وأصون القرابة، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحاً ومساءً.

قال: أخبريني ما الذي أعددتِ لأولادكِ عند انصرافهم، بعد أخذنا الخبزة؟

قالت: أعددت لهم قول العربي:

ولقد أبيت على الطوى وأظلُّه حتى أنال به كريمَ المأكل

---

(١) أثل المال: زكاه، أنماه.

فأعجبه قولها، وقال لبعض غلمانه: انطلق إلى خبائها، فإذا أقبل بنوها، فجيء بهم.

فقالت للغلام: انطلق، فكن بفناء البيت، فإنهم ثلاثة، فإذا رأيتهم، تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض، عليه شعار الوقار، فإذا تكلم أفصح وإذا طُلب أنجح، والآخر حديد النظر كثير الحذر، إذا وعد فعل، وإن ظُلم قتل. والآخر كأنه شعلة نار، وكأنه يطلب بثار، فذاك الموت المائت (١)، والداء الكابت، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم فقل لهم عني: لا تجلسوا حتى تأتوني.

فانطلق الغلام، فأخبرهم الخبر، فما بَعُد أَمَدُه حتى جاؤوا، فأدناهم عبد الله وقال: إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم، وأصنع ما يجب لكم.

فقالوا: إن هذا لا يكون إلا عن مسألة، أو مكافأة فعل جميل تقدَّم، ولم يصدر منا واحدة منهما، فإن كنت أردت التكرُّم مبتدئاً، فمعروفك مشكور، وبرُّك مقبول مبرور.

فأمر لهم بسبعة آلاف درهم، وعشر من النوق، فقالت لهم العجوز: ليقل كل واحد منكم بيتاً من قوله.

---

(١) المائت: موت شديد.

فقال الأكبر:

شهدت عليـك بحُـسنِ المقَـال وصِدقِ الفَعالِ وطيـب الخـبر

وقال الأوسط:

تبرعـت بالبـذل قبـل الـسؤال فَعَـالَ كـريم عظـيم الخطـر

وقال الأصغر:

وحـقَّ لمـن كـان ذا فعلـه أن يَـسْترقَّ رقـابَ البـشر

وقالت العجوز:

فعمَّـرك الله مـن ماجـدٍ ووُقيت – ما عشت – شرَّ القدر

ثم ودعوه وانصرفوا.

ليست لكِ ضَّرة

قيل لامرأة الزبير بن بكار أو غيره: هنيئاً لك إذا ليستْ لك ضَّرة، فقالت: والله لهذه الكتب أضرُّ عليّ من عدَّة ضرائر[1].

(١) روضة المحبين، ص (٦٩).

التين إذا حلا تشقق

قيل لأعرابية ظريفة: ما بال شفتيك مشقّقة؟ فقالت: إن التين إذا حلا تشقّق، والورد يتشقّق إذا مسَّهُ الندى [1].

فطنة الزرقاء

من فطن النساء مما جاء في كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي: قال عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي:

حدثني جماعة من بني أُمية ممن كان يسمر مع معاوية، أن معاوية لما ولي الخلافة، وانتظمت إليه الأمور، وامتلأت منه الصدور، وأذعن لأمره الجمهور، وساعده الله في مراده، استحضر ليلةً خواصّ أصحابه، وذاكرهم وقائع أيام صفين، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين، فانهمكوا في القول الصحيح والمريض، وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض. فقالوا:

---

(١) المستطرف، ١/ ٣٦٧.

امرأة من أهل الكوفة تُسمى الزرقاء بنت عدي [١]، كان تعتمد الوقوف بين الصفوف، وترفع صوتها صارخة: يا أصحاب علي. تسمعهم كلاماً كالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل، والمدبر لأقبل، والمسالم لحارب، والفارّ لكر، والمتزلزل لاستقر.

فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها؟

قالوا: كلنا نحفظه.

قال: فما تشيرون عليَّ فيها؟

قالوا: نشير بقتلها: فإنها أهلٌ لذلك.

فقال لهم معاوية: بئس ما أشرتم به، وقبحاً لما قلتم، أيحسن أن يشتهر عني أنني بعدما ظفرت وقدرت، قتلت امرأة قد وفت لصاحبها؟ إني إذاً للئيم، لا والله لا فعلت ذلك أبداً.

ثم دعا بكتابه فكتب كتاباً إلي وإليه بالكوفة: أن أنفذ إليَّ الزرقاء بنت عدي، مع نفرٍ من عشيرتها، وفرسان من قومها، ومهَّد لها وطاء ليناً ومركباً ذلولاً.

---

(١) الزرقاء بنت عدي: خطيبة شجاعة من أهل الكوفة لها مواقف في حرب صفين ضد معاوية الذي حاورته بعد أن استخلف فأُعجب بفصاحتها وأمر لها بمال عاشت في القرن السابع للميلاد.

فلما ورد عليه الكتاب، ركب إليها وقرأه عليها.

قالت بعد قراءة الكتاب: ما أنا بزائغة عن الطاعة، فحملها في هودج، وجعل غشاءه خزاً مبطناً، ثم أحسن صحبتها.

فلما قدمت على معاوية، قال لها: مرحباً وأهلاً، خير مقدم قدِمه وافد، كيف حالكِ يا خالة؟ وكيف رأيتِ سيركِ؟

قالت: ربيبة بيت أو طفلاً ممهداً.

فقال: بذلك أمرناهم. هل تعلمين لِمَ بعثت إليكِ؟

قالت: وأنىَّ لي بعلم ما لم أعلم؟ لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى.

قال: ألستِ الراكبة الجمل الأحمر، يوم صفين؟ وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب، وتحرضين على القتال؟

قالت: نعم!

قال: فما حملكِ على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين، إنه قد مات الرأس وبُتر الذنب ولن يعود ما ذهب، والدهور ذو غيرٍ، ومن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

فقال: صدقتِ! فهل تعرفين كلامكِ، وتحفظين ما قلتِ؟

قالت: لا والله. ولقد أنسيته.

قال: لله أبوكِ! فلقد سمعتكِ تقولين: أيها الناس، ارعووا وارجعوا! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء صماء بكماء لا تسمع لناعقها، ولا تسلس لقائدها.

إن المصباح لا يضيء في الشمس، وإن الكواكب لا تنير مع القمر، وإن البغل لا يسبق الفرس، ولا يقطع الحديد إلا بالحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه، ومن سألنا أخبرناه.

أيُّها الناس إن الحق كان يطلب ضالَّته فأصابها! فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصَص! فكأنكم وقد التأم شملُ الشَتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحقُّ باطله، فإنه لا يستوي المحق والمبطل؛ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً؟ لا يستوون. فالنزال النزال، والصبر الصبر! ألا إن خضاب النساء الحناء، وخضاب الرجال الدماء؛ والصبر خير الأمور عاقبة، إئتوا الحرب غير ناكصين [1] فهذا يوم له ما بعده.

ثم قال: يا زرقاء أليس هذا قولكِ وتحريضكِ؟

قالت: لقد كان ذلك.

---

(١) نكص عن الأمر: أحجم عنه. ونكص على عقبيه: رجع عما كان عليه.

قال: لقد شاركتِ علياً في كل دمٍ سفكه.

فقالت: أحسن الله بشارتك؛ يا أميرِ المؤمنين، وأدام سلامتك، فمثلك من بشرَّ بخير وسرَّ جليسه.

فقال معاوية: أو يسرُّك ذلك؟

قالت: نعم، والله لقد سرني قولك، وأنىَّ لي بتصديق الفعل؟

فضحك معاوية وقال: والله فوفاؤكم له بعد موته، أعجب عندي من حبكم له في حياته؛ اذكري حاجتكِ.

فقالت: يا أمير المؤمنين إني آليت على نفسي ألاَّ أسأل أحداً أعنت عليه أبداً.

فقال: قد أشار عليَّ بعضُ من عرفك بقتلكِ.

فقالت: لؤم من المشير، ولو أطعته لشاركته.

قال: كلا، بل نعفو عنكِ، ونحسن إليكِ ونرعاكِ.

فقالت: يا أمير المؤمنين كرمٌ منك، ومثلك من قَدِر فعفا، وتجاوز عمن أساء وأعطى من غير مسألة.

فأعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تَغُلُّ لها في كل سنة عشرة آلاف درهم، وأعادها إلى وطنها سالمة، وكتب إلى والي الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها.

أمسكوا عن قتلها

ولما خرجت الخوارج بالأهواز، أخذوا امرأة فهموا بقتلها، فقالت لهم: أتقتلون ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ فأمسكوا عنها [١].

أسمي وجهكِ

قال أبو نواس: استقبلتني امرأة، فأسفرت عن وجهها، فكانت على غاية الحسن، فقالت: ما اسمك؟ قلت: وجهك. فقالت: أنت الحُسْنُ إذن.

دلالة تُزَوِجْ

جاءت دلالة إلى قوم، فقالت: عندي زوج يكتب بالحديد ويختم بالزجاج فرضوا به وزوجوه فإذا هو حجام.

زبيدة بنت جعفر

شهدت زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد وأم الخليفة المأمون

---

(١) العقد الفريد ٧/ ١١١.

العظمة والجاه والثراء والسلطان والسمو والأبهة.

ويُحكى عن زواجها من هارون الرشيد ما يشبه الأساطير. إذ أُقيمت في حفل الزفاف وليمة لم يسبق لها مثيل في بلاد الإسلام، ووهب الناس فيه أواني من الذهب مملوءة بالفضة وأواني من الفضة مملوءة بالذهب والمسك والعنبر.

وقد زُينت زبيدة بكمياتٍ من اللآلىء والجواهر أعاقتها عن السير من فرط ثقلها.

تدخلت زبيدة في شؤون الدولة العباسية وعملت على تسلم ابنها الأمين الخلافة التي انتهت بقتله واستيلاء أخيه من أبيه الرشيد المأمون على الخلافة، ولكنها استقبلت المأمون عند دخوله بغداد وهنأته بالخلافة فأكرمها وأسكنها قصر الخلافة محاطة بمظاهر الفخامة والأبهة.

وقد تركت زبيدة وراءها آثاراً جليلة في مجال الخدمات والعمران ومنها ما زال موجوداً حتى الآن.

ومن أعمالها: عين زبيدة التي بلغت تكاليف مشروعها مليوناً وسبعمائة ألف دينار في ذلك الوقت وقد نفذت هذا المشروع عندما حجت إلى بيت الله الحرام في عام ١٨٦ هجرية وشاهدت ما يعانيه أهل مكة من المشقة في الحصول على الماء، فدعت خازن أموالها وأمرته أن يدعو

العمال والمهندسين الأكفاء إلى مكة ليعملوا على إيصال منابع المياه في الجبال معتمدين على عين حنين فأسالوا الماء منها تحت الصخور إلى مسافة ١٠ كلم من مكة.

وحفرت الآبار والبرك على طريق الحج من العراق.

كما كان لها أثر في الحياة الاجتماعية وفي تطور زي ملابس النساء في بغداد في ذلك العصر.

كما استمالت زبيدة إليها الشعراء والأطباء وأرباب التقوى من العلماء والصالحين، وقيل إنه كان لها مائة جارية يحفظن القرآن. وتوفيت زبيدة في بغداد سنة ٢١٦هـ.

يفرق الشهود

ونقلت من خط الشيخ أبي الوفاء بن عقيل قال: كان بعض قضاة الحنفية من مذهبه: أنه إذا ارتاب بالشهود فرقهم، فشهد عنده رجل وامرأتان فيما يشهد فيه النساء، فأراد أن يفرق بين المرأتين على عادته، فقالت إحداهما: أخطأت لأن الله تعالى قال: ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة: ٢٨٢)، فإذا فرقت زال المعنى الذي قصده الشرع، فأمسك.

كم دفعوا فيكِ

قال رجل لجارية أراد شراءها، فسألها عن ثمنها فقال: يا جارية، كم دفعوا فيك؟ فقالت: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (١).

هبه لي

قال الأصمعي: أُتي المنصور بسارق، فأمر بقطع يده، فأنشأ يقول:

يدي يـا أمـيرَ المـؤمنين أعيـذها ... بحقويك مِنْ عارٍ عليْها يُشينُها

فلَا خيْرَ في الدُّنْيَا ولا في نَعيمها ... إذا مـا شِـمَالٌ فارَقَتْهَـا يَمِيْنُهـا

فقال: يا غلام: اقطع هذا حد من حدود الله، وحق من حقوقه لا سبيل إلى تعطيله، قالت أم الغلام: واحدي وكادي وكاسبي. قال: بئس الواحد واحدك، وبئس الكاد كادك، وبئس الكاسب كاسبك. يا غلام! اقطع، فقالت أم السارق يا أمير المؤمنين، أما لك ذنوب تستغفر الله منها؟ قال: بلى. قالت: هبه لي، واجعل هذا ذنوبك التي تستغفر الله منها.

وقد رويت هذه الحكاية عن عبد الملك بن مروان، فإنه أتي بسارق وثبتت عليه البينة، فأنشد هذا الشعر، وقالت أمه هذا الكلام، فقال: خلوا سبيله.

---

(١) المدثر: ٣١.

لا يروح ولا يغدو

عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه قال سليمان بن عبد الملك يوماً والشعراء عنده: قد قلت نصف بيت فأجيزوه.

قال: يروح إذا راحوا ويغدوا إذا غدوا.

فلم يصنعوا شيئاً، فدخل إلى جارية له فأخبرها، فقالت: كيف قلت؟ فأنشدها فقالت:

وعما قليل لا يروح ولا يغدو[١].

جارية من أحسن الناس

حدثنا ابن الشيظمي قال: حججت في سنة قحطة جدبة، فبينا أنا أطوف بالكعبة، إذ أبصرت جارية من أحسن الناس قداً وقواماً وخلقاً وهي متعلقة بأستار الكعبة تقول: إلهي وسيدي. ها أنا أمتك الغريبة وسائلتك الفقيرة حيث لا يخفى عليك بكائي، ولا يستتر عنك سوء حالي. قد هتكت الحاجة حجاجي وكفت الفاقة نقابي، فكشفت وجهاً رقيقاً عند الذل، وذليلاً عند المسألة. طال وعزتك ما حجبه عنه ماء الغناء وصانه

---

(١) كتاب الأذكياء، ص (٢٤٦).

ماء الحياء. قد جمدت عني كف المرزوقين، وضاقت بي صدود المخلوقين، فمن حرمني لم أمله، ومن وصلني وكلته إلى مكافأتك ورحمتك، وأنت أرحم الراحمين. قال، فدنوت منها فبررتها، ثم قلت لها: من أنت؟ وممن أنت؟ فقالت: إليك عني. من قل ماله، وذهب رجاله كيف يكون حاله. ثم أنشأت تقول:

بعـضُ بَنَـاتِ الرِّجـال أبرزهـا ... الدّهر لما قَـدْ تـرى وأخرجهـا

أبرزهـا مـن جَليـل نِعمتهـا ... فابتّزهـا ملكهـا وأحوجهـا

وطالمـا كانَـتِ العُيـونُ إذا ... ما خَرجت تستشف هودَجها

إن كـانَ قـد سَـاءَها وأحـز ... نَهـا فَطَالمـا سرّهـا وأبَهْجَهـا

الحمـدُ لله ربّ معـسرة ... قـد ضَـمِنَ الله أن يفرجَهـا

قال، فسألت عنها، فأخبرت أنها من ولد الحسين بن علي رضوان الله عليهم أجمعين.

المرأة في جانب الرصافة

قال ابن المبارك بن أحمد: خرج رجل على سبيل الفرجة، فقعَدَ على الجسر، فأقبلتْ امرأة من جانب الرصافة متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت المرأة في الحال:

رحم الله أبا العلا المعري وما وقفا ومرّا مشرقاً ومغرباً، فتبعتُ المرأة وقلتُ لها: إن لم تقولي ما قلتما، وإلا فضحتك وتعلقت بك، فقالت: قال لي الشاب: رحم الله علي بن الجهم أراد به قوله:

عيــون المهــا بــين الرصــافة والجــسر
جلبن الهوى مـن حيـثُ أدري ولا أدري

وأردت أنا بترحمي على المعري قوله:

فيـــا دارهـــا بـــالحُزْن مزارُهـــا
قريـــبٌ ولكـــنْ دون ذلـــك أهـــوالُ

حيلة فتاة

حدث رجل من تغلب فقال: كان فينا رجل له ابنةٌ شابة، وكان له ابن أخ يهواها وتهواه، فمكثا كذلك دهراً، ثم إنّ الجارية خطبها بعض الأشراف فأرغب في المهر، فأنعم أبو الجارية، واجتمع القوم للخطبة، فقالت الجارية لأمها: يا أماه: ما يمنع أن يزوجني من ابن عمي؟ قالت: أمر كان مقضيّاً. قالت: والله ما أحْسَن، ربّاه صغيراً، ثم تدعُوه كبيراً، ثم قالت لها: يا أمّاه: إني والله حامل، فاكتمي إنْ شئت أو نوحي، فأرسلت الأم إلى الأب، فأخبرته الخبر، فقال: اكتمي هذا الأمر، ثم خرج إلى القوم،

فقال: يا هؤلاء، إني كنتُ أجبتكم، وأنه قد حدث أمر رجوت أن يكون فيه الأجر وأنا أشهدكم أني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أخي فلان، فلما انقضى ذلك قال الشيخ: ادخلوها عليه، فقالت الجارية: هي بالرحمن كافرة إن دخل عليها من سنة أو تبين حملها. قال: فما دخل عليها إلا بعد حول، فعلم أبوها أنها احتالت عليه[1].

لو نزلت وادياً

حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله: أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجر أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها. في أيها كنت ترتع بعيرك؟ قال: «في التي لم يرتع منها» نعني: أن النبي ﷺ لم يتزوج بكراً غيرها.

هند والحجاج

مما جاء في دهاء النساء وذكائهن ما ذكره الأبشيهي في كتاب «المستطرف في كل فنٍ مستظرف»:

حكي أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها، فوصف

---

(١) كتاب الأذكياء، (٢٤٩).

للحجاج حسنها فأنفذ إليها يخطبها وبل لها مالاً جزيلاً وتزوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم، ودخل بها ثم إنها انحدرت معه إلى بلد أبيها المعرة، وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها الحجاج بالمعرة مدة طويلة، ثم إن الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرأة وتقول:

وما هند إلا مهرة عربية ... سليلة أفراس تحللها بغل

فإن ولدت فحلاً فلله درها ... وإن ولدت بغلاً فجاء به بغل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليها، ولم تكن علمت به. فأراد الحجاج طلاقها فأنقذ إليها عبد الله بن طاهر، وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم، وهي التي كانت لها عليه، قال: يا بن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليهما.

فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها: يقول لكِ أبو محمد الحجاج: كنتِ فبنتِ (١) وهذا المائتا ألف درهم التي كانت لكِ قِبله.

فقالت: إعلم يا بن طاهر، إنا والله كنا فما حمدنا فحمدنا ربّنا، فما ندمنا، وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها، بشارة لك بخلاصي من

(١) بان: كنت فبنت: أي أصبحتِ طالقاً، وهكذا طلقها بكلمتين كما أراد الحجاج.

كلب بني ثقيف.

ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها، فأرسل إليها يخطبها فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الثناء عليه: إعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء ولغ فيه الكلب.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً، إحداهن بالتراب فاغسلي الإناء يحل الاستعمال.

فلما قرأتْ كتاب أمير المؤمنين لم يمكنها المخالفة، فكتبْ إليه بعد الثناء عليه: يا أمير المؤمنين، والله لا أحل العقد إلا بشرط فإن قلت ما هو الشرط؟ قلت: أن يقود الحجاج محملي من المعرة إلى بلدك التي أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي كان فيها أولاً.

فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكاً شديداً، وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك، فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب، امتثل الأمر ولم يخالف، وأنفذ إلى هند يأمرها بالتجهيز، فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة فركبت هند في محمل الزفاف، وركب حولها جواريها وخدمها، وأخذ الحجا بزمام البعير يقوده ويسير بها، فجعلت هند تتواغد عليه، وتضحك مع الهيفاء دايتها، ثم إنها قالت للهيفاء: يا داية

اكشفي لي سجف [١] المحمل [٢]، فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فأنشأ يقول:

فإن تضحكي مني فيا طول ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فأجابته هند تقول:

وما نبالي إذا أرواحنا سلمت ... بما فقدناه من مالٍ ومن نشب

فالمال مكتسبٌ والعز مرتجع ... إذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة. فرمت بدينار على الأرض، ونادت: يا جمّال إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا، فنظر الحجاج إلى الأرض فلم يجد إلا ديناراً، فقال: إنما هو دينار، فقالت: بل هو درهم، قال: بل دينار، فقالت: الحمد لله سقط منا درهم، فعوضنا الله ديناراً، فخجل الحجاج وسكت، ولم يرد جواباً، ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها.

---

(١) سجف: طرف. سجف الثوب: ذيله.

(٢) المحمل: الهودج أو السرير يرفع على ظهر الجمل.

جارية تنشد

ذكر أنّ رجلاً دعا المبرد بالبصرة مع جماعة، فأنشدت جارية من وراء الستار، وأنشأت تقول:

وقــالوا لهــا هــذا حبيبُــك معرضــاً
ألا إعراضُــــه أيــــسرَ الخَطْــــبِ
فـــما هـــي إلا نظـــرةٌ بتبـــسُّمٍ
فتــصطكُّ رجــلاه ويــسقطُ للجَنْــبِ

فطرب كلُّ من حضر إلا المبرد، فقال له صاحب المجلس: كنت أحق الناس بالطرب، فقالت الجارية: دعه يا مولاي، فإنه سمعني أقول (هذا حبيبك معرضاً)، فظنّني لحنتُ، ولم يعلم أن ابن مسعود قرأ: ﴿وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ﴾ قال: فطرب المبرد إلى أن شقّ ثوبه [1].

فطنة جارية

غضب المأمون يوماً على عبد الله بن طاهر، فأراد طاهر أن يقصده،

---

(١) كتاب الأذكياء، (٢٥٤).

فورد عليه كتاب من صديق له مقصور على السلام، وفي حاشيته: (يا موسى) فجعل يتأمله، ولا يعلم معنى ذلك، فقالت له جارية - وكانت فطنة - أراد: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ﴾ (١). فتيقظ عن قصد المأمون (٢).

عزة وبثينة

وروي أن عزة وبثينة اجتمعتا فتحدثا، فأقبل كثِّير، فقالت بثينة: أتحبين أن أبين لك أن كثيِّراً غير صادق في محبتك؟ قالت: نعم. قال: ادخلي الخباء، فدخلت فدنا كثِّير فوقف على بثينة، فسلم عليها فقالت له: ما تركت عزة فيك مستمعاً لأحد، فقال كثِّير والله لو أن عزة أمة لوهبتها لك، فقالت: إن كنت صادقاً فقل في هذا شعراً فأنشأ يقول:

رَمَتْني عَلى عَمْدٍ بثينة بعدمَا ... تولّى شبابي وارجحنَ شبابُها

بعينينِ نَجْلاوينِ لو رَقْرَقَتها ... لنوء الثريّا لاستهلَّ سَحَابُها

(١) القصص: ٢٠.

(٢) كتاب الأذكياء.

فبادرت عزة وكشفت الحجاب، وقالت له: يا فاسق! قد سمعت البيتين، فقال لها: فاسمعي الثالث. قالت: وما هو؟ قال:

ولكــنَّما تــرمين نفــساً سـقيمةً لعــزّة مِنهــا صـفوها ولبابُهــا

فاستحسنت عذره.

منشدة بين يدي المهدي

وحكى أبو الحسن بن الصابي أن منشدة أنشدت بين يدي المهدي:

ســا نقمُــوا مــن بَنــي أُمَيَّــة إلاَّ أنَّهــم يــسفهون إذا غــضبوا

فقيل لها: غلطت. فقالت: غلطي يذكرني هذا البيت فأصلحته بما سمعتم.

مهور النساء

عن عبد الله بن مصعب قال، قال عمر بن الخطاب: لا تزيدوا في مهر النساء على أربعين أوقية، وإن كانت بنت ذي الغصة يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي، فمن زاد ألقيت الزيادة في بيت المال، فقالت امرأة من صف النساء طويلة في أنفها فطس ما ذاك لك. قال: ولم؟ قالت: لأن الله عز وجل قال: ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء: ٢٠)، قال: عمر امرأة أصابت ورجل أخطأ.

امرأة في بني نمير

مرت امرأة من بني نمير على مجلس لهم في يوم ريح، فقال رجل منهم: إنها لرسْحاء [١] قالت: والله يا بني نمير ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [٢]. وقال الشاعر:
فغضّ الطرف إنك من نُميرْ [٣].

عمران وامرأته

قال أبو الحسن المدائني: دخل عمران بن حطان يوماً على امرأته، وكان عمران قبيحاً ذمياً قصيراً، وقد تزينت، وكانت امرأة حسناء، فلما نظر إليها ازدادت في عينه جمالاً وحسناً، فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، فقالت: ما شأنك؟ قال: لقد أصبحت والله جميلة. فقالت: أبشر فإني وإياك في الجنة. قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنك أعطيت مثلي فشكرت، وابتليت سلامته بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر في الجنة.

---

(١) امرأة رسحاء: قبيحة.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) العقد الفريد ٤/ ١١٠.

ترك لنا هذا

عن عبد الله بن الزبير، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهم قالت: لما توجه رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر حمّل أبو بكر معه جميع ماله خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، فأتاني جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: أرى هذا والله قد فجعكم بماله مع نفسه، فقلت: كلا يا أبت.

قد ترك لنا خيراً كثيراً، فعمدت إلى أحجار جعلها في كوة البيت كان أبو بكر يحصل ماله فيها، وغطيتُ على الأحجار بثوب، ثم جئتُ به فأخذت بيده ووضعتها على الثوب، وقلت ترك لنا هذا.

فجعل يجد مسّ الحجارة من وراء الثوب، فقال: أما إذا ترك لكم هذا، فنعم.

ولا والله ما ترك لنا قليلاً ولا كثيراً[1].

---

(١) كتاب الأذكياء، ص (٢٣٨).

مطلوبهن الدنانير

حكي أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر. فنثر يوماً دنانير بين الجواري، فصارت الجواري يلتقطن الدنانير، وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد، فقال لها: ألا تلتقطين الدنانير؟

فقالت: إن مطلوبهنّ الدنانير ومطلوبي صاحب الدنانير! فأعجبته فقربها وأثنى عليها خيراً، فقام حُسْنُ كلامها مقام الجمال (١).

شجاعة أم الخير

جاء في «العقد الفريد»:

قال عبيد الله بن عمر الغساني عن الشعبي:

كتب معاوية إلي وإليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحُريش بن سراقة البارقي برحلها، وأعلمه أن مجازيه بالخير خيراً وبالشر شراً بقولها فيه.

فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه؛ فقالت: أما أنا فغير زائغة عن طاعة، ولا معتلة لكذب، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين

---

(١) تحفة العروس، ص ١٢٣.

لأمورٍ تختلج في صدري.

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أنه مجازيني بالخير خيراً وبالشر شراً؛ فما لي عندكِ؟.

قالت: يا هذا، لا يطعمنك برُّك بي أن أسرُك بباطل، ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق.

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية فأنزلها مع الحريم، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت:

- السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال لها: وعليكِ السلام يا أم الخير، بحق ما دعوتني بهذا الاسم؟

قالت: يا أمير المؤمنين، مَهْ، فإن بديهة السلطان مَدْحَضَةٌ لما يجب علمه، ولكل أجلٌ كتاب.

قال: صدقتِ! فكيف حالكِ يا خالة؟ وكيف كنتِ في مسيركِ؟

قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خيرٍ وعافية حتى صرت إليك؛ فأنا في مجلسٍ أنيق، عند ملكٍ رفيق.

قال معاوية: بحسن نيتي ظفِرتُ بكم.

قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك الله من دحضِ المقال وما تردي عاقبته.

قال: ليس هذا أردنا. أخبرنا كيف كان كلامكِ إذ قتل عمَّار بن ياسر؟

قالت: لم أكن زوّرته قبل، ولا روّيته بعد؛ وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة؛ فإن أحببت أن أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت.

فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال: أيُّكم يحفظ كلامها؟

فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين.

قال: هاتِ.

قال: كأني بها وعليها برد زبيديّ كثيف بيِّن النسج، وهي على جمل أرمك [1] وقد أحيط حولها، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشِقيته [2]، وتقول:

يا أيها الناس اتقوا ربكم، إن زلزلة الساعة شيء عظيم، إن الله قد أوضح لكم الحق، وأبان الدليل، وبيَّن السبيل، ورفع العلم، ولم يَدَعْكُم في عماء مدلهمَّة، فأين تريدون رحمكم الله؟ أفِراراً عن أمير المؤمنين، أم فراراً من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، أن ارتداداً عن الحق؟ أما سمعتم الله جلَّ ثناؤه يقول: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟

---

(١) إرمكَّ: ضمر ودق.

(٢) الشقيقية: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج.

أَخْبَارَكُمْ ﴾.

ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك يا رب أزَّمة القلوب، فأجمع اللهم بها الكلمة على التقوى، وألِّف القلوب على الهدى، واردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضيّ التقي، والصديق الأكبر؛ إنها إحنٌ (١) بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أُحُدية، وثب لها واثبٌ حين الغفلة، ليدرك ثارات بني عبد شمس.

ثم قالت: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾، صبراً يا معشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكم، وثبات من دينكم؛ فكأني بكم غداً، وقد لقيتم أهل الشام، كحمرٍ مستنفرة، فرَّت من قسورة (٢)، لا تدري أين يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى، وعما قليل ليُصبِحُنَّ نادمين، حتى تحُلَّ بهم الندامة، فيطلبون الإقالة، ولات حين مناص. إنه من ضل الله عن الحق وقع في الباطل. ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطابوا الآخرة فسعوا لها، فالله

---

(١) الإحن: الحقد.

(٢) القسور: الأسد.

الله أيها الناس، قبل أن تبطل الحقوق، وتعطل الحدود، ويظهر الظالمون وتقوى كلمة الشيطان؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ عن ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وأبي سبطيه؛ خلق من طينته، وتفرع من نبعته، وخصّه بسرِّه، وجعله باب مدينته، وأعلم بحبه المسلمين، وأبان ببغضه المنافقين، ها هو ذا مفلق الهام، ومكسر الأصنام، ﷺ والناس مشركون؛ وأطاع والناس كارهون، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر، وأفنى أهل أُحد، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، وفرَّق جمع هوازن؛ فيا لها من وقائع، زرعت في قلوب نفاقاً، وردَّة وشقاقاً، وزادت المؤمنين إيماناً، وقد اجتهدت في القول؛ وبالغت في النصيحة، وبالله التوفيق، والسلام عليكم ورحمة الله.

فقال معاوية: يا أم الخير، ما أردتِ بهذا الكلام إلا قتلي، ولو قتلتُكِ ما حَرِجْتُ في ذلك.

قالت: والله ما يسوؤني أن يجري قتلي على يَدي من يسعدني الله بشقائه.

قال: هيهات يا كثيرة الفضول، ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله؟

قالت: وما عسيت أن أقول في عثمان، استخلفه الناس وهم به

راضون، وقتلوه وهم له كارهون.

قال معاوية: يا أم الخير؛ هذا أصلكِ الذي تبنين؟

قالت: لكن الله يشهد وكفى بالله شهيداً؛ ما أردت بعثمان نقصاً، ولكن كان سابقاً إلى الخير، وإنه لرفيع الدرجة غداً.

قال: فما تقولين في طلحة بن عبد الله؟

قالت: وما عسى أن أقول في طلحة؟ اغتيل من مأمنه وأُتي من حيث لم يحذر، وقد وعده رسول الله ﷺ الجنة.

قال: فما تقولين في الزبير؟

قالت: وما أقول في ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريّه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، وقد كان سباقاً إلى كل مكرمة في الإسلام، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية، فإن قريشاً تحدثت أنك أحلمها: أن تسعني بفضل حلمك، وأن تعفيني من هذه المسائل، وتسألني عما شئت من غيرها.

قال: نعم ونعمة عين، وقد أعفيتكِ منها. ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها مكرمة.

أمرك بيدك

حدثنا العتبي قال: قال رجل من ولد علي عليه السلام لامرأة: أمرك بيدك ثم ندم، فقالت: أما والله لقد كان بيدك عشرين سنة، فأحسنت حفظه وصحبه فلن أضيعه إذا كان بيدي ساعة من نهار، وقد رددته إليك، فأعجب بذلك من قولها وأمسكها.

إن النساء رياحين

الفضل بن إبراهيم يقول: مرّ شاعر بنسوة فأعجبه شأنهن، فجعل يقول:

إن النِّساءَ شَياطِنٌ خُلِقْنَ لَنَا ... نَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ الشَّيَاطِينِ

قال، فأجابته واحدة منهن وجعلت تقول:

إن النّسَاءَ رَيَاحِينٌ خُلِقْنَ لَكُم ... وَكُلّكُم يَشهي شَمّ الرّياحينِ

ما رأيت مثلها

قال إسماعيل بن حمادة بن أبي حنيفة: ما ورد عليَّ مثل امرأة تقدمت فقالت: أيها القاضي، ابن عمي زوجني من هذا ولم أعلم، فلما علمتُ رددتُ، فقلتُ لها: ومتى رددت؟ قالت: وقت ما علمتُ. قلتُ: ومتى علمتِ؟ قالت: وقت ما رددتُ، فما رأيتُ مثلها[1].

---

(١) كتاب الأذكياء، ٢٤٦.

قبضت القميص

عن ابن أبي الزناد قال: كان عند أسماء بنت أبي بكر قميص رسول الله ﷺ، فلما قتل عبد الله بن الزبير ذهب القميص فيما ذهب وفيما انتهت، فقالت أسماء، للقميص أشد عليَّ من قتل عبد الله، فوجد القميص عند رجل من أهل الشام، فقال: لا أردّه أو تستغفر لي أسماء، فقيل لها: قالت كيف استغفر لقاتل عبد الله. قالوا: أفليس يرد القمص. قالت: قولوا فليجيء، فجاء بالقميص ومعه عبد الله بن عروة، فقالت: ادفع القميص إلى عبد الله، فدفعه. فقالت: قبضت القميص يا عبد الله؟ قال: نعم. قالت: غفر الله لك يا عبد الله، وإنما عنت عبد الله بن عروة.

جاريتان بكر وثيب

عُرض على رجل جاريتان: بكر وثيب، فمال إلى البكر، فقالت الثيب: لِمَ رغبت فيها، وما بيني وبينها إلا يوم؟!

فقالت البكر: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ۚ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[1]. فأعجبتاه فاشتراهما[2].

---

(١) سورة الحج: ٤٧.

(٢) تحفة العروس (١٥٢).

ليلى الأخيلية والحجاج [١]

جاء في كتاب «جواهر الأدب» للهاشمي:

روى بعضهم أنه بينما كان الحجاج في مجلس ومعه عنبسة بن سعيد إذ دخل الحاجب فقال: امرأة بالباب.

فقال له الحجاج: ادخلها. فدخلت فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض. فجاءت حتى قعدت بين يديه فنظرت فإذا امرأة قد أسنت، حسنة الخلق ومعها جاريتان لها، وإذا هي ليلة الأخيلية، فسألها الحجاج عن نسبها، فانتسبت له فقال لها:

- يا ليلى ما أتى بكِ؟

فقالت: إخلاف النجوم وقلة الغيوم، وكلب البرد وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرفد [٢].

---

(١) ليلى الأخيلية: بنت عبد الله بن شداد من بني عامر بن صعصعة شاعرة فصيحة جميلة شهرت بأخبارها مع توبة بن الحمير، وفدت على عبد الملك بن مروان فسألها: ما رأي توبة منكِ حتى عشقكِ؟ قالت: ما رأى الناس منك حتى جعلوك خليفة. وكان الحجاج يكرمها ويقربها. أجود شعرها ما رثت به توبة. توفيت سنة ٧٠٠م.

(٢) الرفد: المعونة.

فقال لها: صفي لنا الفُجاج [١].

فقالت: الفجاج مغبرة، والأرض مقشعَّرة، والمبرك [٢] معتل وذا العيال مختل، والهالك للقل والناس مستنون [٣]، رحمة الله يرجون وإصابتنا سنون مجحفة مبطلة، لم تدع لنا هبعاً ولا ربعاً [٤] ولا عافطة ولا ناطفة [٥]، أذهبت الأموال ومزقت الرجال وأهلكت العيال ثم قالت: إني قلت في الأمير قولاً.

قالت: هاتِ!

فأنشأت تقول:

أحجاج لا يفلل [٦] سلاحك إنما ال ... ـمنايا بكف الله حيث يراها

أحجاجٌ لا تعطي العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها

شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام إذا هز القناة سقاها

سقاها فرواها بشرب سجالة ... دماء رجال حيث مال حشاها

فما ولد الأبكار والعون مثله ... ببحرٍ ولا أرضٍ يجف ثراها

---

(١) الفجاج: الطريق الواسع الواضح بين جبلين.

(٢) المبرك: موضع البروك.

(٣) أسنت القوم: أصابهم الجدب والقحط.

(٤) الهُبع: الفصيل الذي ينتج في الصيف. والربع: الفصيل الذي ينتج في الربيع.

(٥) النافطة: الماعزة.

(٦) الفلل: انثلام حد السيف. والفل: الكسر أو الثلمة في حد السيف.

فلما دخلت عليه قالت: كاد (والله) يقطع مقولي [١]، ثم أنشأت تقول:

حجاج أنت الذي ما فوقه أحد إلا الخليفة والمستغفر الصمد

حجاج أنت شهاب الحرب إن لقحت وأنت للناس نور في الدجى يقد

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟

قالوا: لا والله أيها الأمير! إنا لم نرقط أفصح لساناً ولا أحسن محاورة ولا أملح وجهاً ولا أرصن شعراً منها.

فقال: هذه ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها. ثم التفت إليها فقال:

- أنشدينا يا ليلى بعض ما قال فيكِ توبة.

قالت: نعم أيها الأمير هو الذي يقول:

وهل ليلى تبكيني إذا مت قبلها وقام على قبري النساء النوائح

كما لو أصاب الموت ليلى بكيتها وجادلها دمع من العين سافح

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت عليَّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أ زقاً [٢] إليها صدى من جانب القبر صائح

---

(١) المقول: اللسان.

(٢) زقا الطائر: صاح.

ثم قال: سلي يا ليلى تعطي.

قالت: أعطِ فمثلك أعطى فأحسن.

قال: لكِ عشرون.

قالت: زد فمثلك زاد فأجمل.

قال: لكِ أربعون.

قالت: زد فمثلك زاد فأكمل.

قال: لكِ ثمانون.

قالت: زد فمثلك زاد فتمم.

قال: مائة واعلمي أنها غنم.

قالت: معاذ الله أيها الأمير أنت أجود جوداً وأمجد مجداً وأروى زنداً من أن تجعلها غنماً.

قال: فما هي ويحكِ يا ليلى؟!

قالت: مائة من الإبل برعاتها، فأمر بها.

صبية على شفير الوادي

قال الأصمعي: لما قدم الرشيد البصرة يريد الخروج إلى مكة، فخرجت معه، فلما صرنا بضرية إذا أنا على شفير الوادي بصبية قدامها قصعة لها، وإذا هي تقول:

طَحَنَتْنَا طَوَاحِنُ الأعوامِ   وَرَمَتْنَا نوائبُ الأيام
فأتيناكمو لمذ أكفاً   لَفَضَالاتِ زَادِكم والطّعامِ
فاطلبُوا الأجْرَ والمثْوبَة فِينَا   أيُّها الزائرون بيت الحَرَام
مَنْ رآني فَقَدْ رآني وَرَحْلي   فارحموا غربتي وذُلّ مَقَامي

قال، فرجعت إلى أمير المؤمنين، فقلت: صبية على شفير الوادي، وأنشدته ما قالت، فعجب، فقلت: يا أمير المؤمنين، أفآتيك بها؟ قال: لا. بل نحن نذهب إليها. قال الأصمعي: فوقف عليها أمير المؤمنين، فقلت لها: أنشديه ما كنت تقولينه، فأنشدته ولم تهبه، فقال: يا مسرور املأ قصعتها دنانير، قال: فملأها حتى فاضت يميناً وشمالاً.

سألت عن الركب

من ذكاء النساء أن امرأة كانت تحب حسان فأخذت تسأل بذكاء ولقد أنشد ثعلب عن ابن الأعرابي:

وسائلة عن ركب حسّان كلهم ليبلغ حسّان بـن زيـدٍ سُـؤالها

قال، وهي تحب حسان، فكرهت أن تخصه، فسألت عن الركب جميعاً حتى صارت إليه [1].

وقفت تنظر إليه

كان مصعب بن الزبير من أحسن الناس وجهاً، حكي أنه كان جالساً بفناء داره يوماً بالبصرة، إذ جاءت امرأة فوقفت تنظر إليه، فقال لها: ما وقوفك يرحمك الله؟ فقالت: طُفِئ مصباحنا، فجئنا نقتبس من وجهك مصباحاً [2].

---

(١) كتاب الأذكياء، (٢٤٨).

(٢) المستطرف ٢/ ٣٦٧.

لو كان ملككم حازماً

لما قتل كسرى وزيره بزر جمهر أراد أن يتزوج ابنته، فقالت للثقات: لو كان ملككم حازماً لما دخل بين شعاره ودثار مأثوره. تقصد أنها عدوه كيف يثق بها.

لكنك حمشة الساقين

ولما عَرضت الخيزران على المهدي، قال لها: والله يا جارية إنك لعلى غاية المتمني، لكنك حمشة الساقين. فقالت: يا أمير المؤمنين! إنك أحوج ما تكون إليّ، لا تراهما! فقال: اشتروها!

فحظيت عنده فأولدها موسى وهارون[1].

امرأة من البرمك

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه.. فقالت:

- يا أمير المؤمنين.. أقر الله عينيك، وفرحك بما أتاك، وأتم سعدك،

---

(١) تحفة العروس، ص (١٢٤).

لقد حكمت فقسطت، زادكِ الله رفعة.

فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟

فقالت: من آل برمك، ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم.

فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليكِ.

ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه وقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟

فقالوا: ما نراها قالت إلا خيراً.

قال: ما أظنكم فهمتم ذلك. أما قولها: أقر الله عينيك.. أي أسكنها عن الحركة، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت.

وأما قولها: وفرحك بما أتاك، فأخذته من قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً ﴾.

وأما فقولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تـــم أمـــر بـــدا نقـــصه ... ترقـــب زوالاً إذا قيـــل: تـــم

وأما قولها: لقد حكمت فقسطت: فأخذته من قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا

ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾.

وأما قولها: زادك الله رفعة، أرادت به قول الشاعر:

مـــا طـــار طـــير وارتفـــع إلا كـــما طـــار وقـــع

لا تحكم وأنت غضبان

قال حدثنا علي بن القاسم القاضي، قال سمعتُ أبي يقول: كان موسى بن إسحاق لا يرى مبتسماً قط، فقالت له امرأة: أيها القاضي، لا يحل أن تحكم بين اثنين وأنت غضبان، قال: ولِمَ؟ قالت: لأن النبي ﷺ قال: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان» فتبسَّم.

كأنها طاقة نرجس

قالت دلالة لرجل: عندي امرأة كأنها طاقة نرجس، فتزوجها، فإذا هي عجوز قبيحة، فقال: كذبَت عليّ وغششتني، فقالت: لا والله ما فعلت، وإنما شبهتها بطاقة نرجس، لأن شعرها أبيض ووجهها أفر وساقها أخضر.

خاتمكِ للذكرى

كان أشعب يختلف إلى قينة بالمدينة فجلس عندها يوماً يجاذبها الحديث، فلما أراد الخروج قال لها: ناوليني خاتمك أذكرك به. قالت: إنه ذهب وأخاف أن تذهب، ولكن خذ هذا العود فلعلك أن تعود. وناولته عوداً من الأرض[1].

عجب من فصاحتها

وقيل: إنّ جارية عُرضت على الرشيد ليشتريها فتأمَّلها وقال لمولاها، خذ جاريتك فلولا كلف بوجهها، وخنس بأنفسها لاشتريتها، فلما سمعت الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة: يا أمير المؤمنين، إسمعْ مني ما أقول. فقال: قولي. فأنشدت تقول:

ما سَلِمَ الظبيُ على حُسْنه ... كلا ولا البدر الذي يوصف

الظبي فيه خنسٌ بيّن ... والبدر فيه كلفٌ يعرف

قال: فعجب من فصاحتها أمر بشرائها[2].

---

(1) المستطرف ٢/ ١٩٣.

(2) المستطرف ١/ ٨٥.

إحتالت له

كان بالكوفة امرأة لها زوج قد عسر عليه المعاش، فقالت زوجته: لو خرجت فضربت في البلاد وطلبت من فضل الله رجوت أن ترزق شيئاً، فخرج إلى الشام وكسب ثلاث مائة درهم، فاشترى بها ناقة فارهة فركبها قاصداً إلى الكوفة، وكانت الناقة نافرة فأضجرته واغتاظ منها، فبدر لسانه فيها بأن حلف بطلاق امرأته أن يبيع الناقة يوم دخوله الكوفة بدرهم، فلما رجع إلى الكوفة ندم أشد ندامة واغتم لذلك، فقالت له زوجته: أي شيء جنيت معك؟ قال: لا شيء، قالت له: وهذه الناقة لمن؟ قال: لا أدري لمن تحصل له، وحدثها بحديثه وما جنى لسانه فقالت له: أنا أحتال لك حتى لا تحنث ولا تخيب، وعمدت إلى قط، فأخذته وعلقته في عنق الناقة وقالت: أدخلها السوق وناد عليها:

من يشتري هذا القط بثلاث مائة درهم والناقة بدرهم ولا أفرق بينهم؟ فجعل أعرابي يدور حول الناقة ويقول:

ما أسمنك وما أفرهك وما أحسنك وما أرخصك لولا هذا المشارك الذي في عنقك.

حيلة جارية

خرج ابن زياد في فوارس، فلقَوا رجلاً ومعه جارية لم يُر مثلها في الحسن، فصاحوا به: خَلِّ عنها، وكان معه قوس فرمى أحدهم فهابوا الإقدام عليه، فعاد ليرمى فانقطع الوتر، فهجموا عليه وأخذوا الجارية، فهرب، واشتغلوا عنه بالجارية، ومد أحدهم إلى أذنها وفيها قرط، وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة.

فقالت: وما قدْر هذه الدرة؟ إنكم لو رأيتم ما في قلنسوته من الدر لاستحقرتم هذه فتركوها واتبعوه وقالوا له: ألق ما في قلنسوتك – وكان فيها وتر قد أعدَّ فنسيه من الدهش، فلما ذكره ركَّبه في القوس ورجع إلى القوم، فولوا هاربين، وخلوا عن الجارية، وكان ذلك بفضل حيلتها وذكاءها.

أجابتاه بفمٍ واحد

حكي أن شاعراً كان له عدو، فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق، إذا هو بعدوه، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة، فقال له:

يا هذا أنا أعلم أن المنية قد حضرت، ولكن سألتك الله إذا أنت

قتلتني امض إلى داري وقف بالباب وقل:

ألا أيها البنتان إن أباكما.

فقال: سمعاً وطاعة، ثم إنه قتله، فلما فرغ من قتله أتى إلى داره ووقف بالباب وقال:

ألا أيها البنتان إن أباكما.

وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل: ألا أيها البنتان إن أباكما، أجابتاه بفمٍ واحد.

قتيل خذا بالثأر ممن آتاكما.

ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه إلى الحاكم فاستقرره، فأقر بقتله، فقتله والله أعلم.

أم سنان ومعاوية

قال سعيد بن أبي حذاقة: حَبس مروان وهو والي المدينة، غلاماً من بني ليث في جناية جناها، فأتته جدة الغلام، وهي أم سنان جُشمَةَ المذحجية فكلمته في الغلام، فأغلظ مروان لها، فخرجتْ إلى معاوية، فدخلت عليه فانتسبت فعرفها فقال:

- مرحباً بابنة جشمة، ما أقدمكِ أرضنا، وقد عهدتكِ تشتمينا، وتحضين علينا عدونا؟

قالت: إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأحلاماً وافرة، لا يجهلون بعد علم، ولا يسفهون بعد حلم، ولا ينقمون بعد عفو، وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنت.

قال: صدقتِ، نحن كذلك، فكيف قولكِ؟

عزب [1] الرقاد فمقلتي لا ترقد ... والليل يصدر بالهموم ويُوردُ

يا آل مذحج لا مقام فشمروا ... إن العدو لآل أحمد يقصد

هذا عليٌّ كالهلال تحفه ... وسط السماء من الكواكب أسعدُ

خير الخلائف وابن عم محمدٍ ... إن يهدكُم بالنور منه تهتدوا

ما زال مذ شهد الحروب مُظفراً ... والنصر دون لوائه ما يعقد

قالت: كان ذلك يا أمير المؤمنين، وأرجو أن تكون لنا خلفاً.

فقال رجل من جلسائه: كيف يا أمير المؤمنين؟ وهي القائلة:

إما هلكت أبا الحسين فلم تزل ... بالحق تُعرف هادياً مهدياً

فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت ... فوق الغصون حمامةٌ قُمْرِيّا

قد كنت بعد محمد خلفاً كما ... أوصى إليك بنا فكنت وفيا

واليوم لا خلف يؤمل بعده ... هيهات نأمل بعده إنسيا

---

(١) عزب: بعد وغاب.

قالت: يا أمير المؤمنين، لسان فطن، وقول صدق، ولئن تحقق ما ظننا فحظك الأوفر، والله ما ورثك الشنآن في قلوب المسلمين إلا هؤلاء، فادحِض مقالتهم، وابعد منزلتهم، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً، ومن المؤمنين حباً.

قالت: وإنك لتقولين ذلك؟

قالت: سبحان الله! والله ما مثلك، مُدِح بباطل، ولا اعتذر إليه بكذب، وإنك لتعلم ذلك، من رأينا وضمير قلوبنا.

سألته الطلاق

حدث محمد بن داود أن رجلاً يدعى هلباجة تزوج امرأة من قومه فولدت له، ثم تباغضا، فسألته الطلاق فقال: لا حتى تثني عليَّ. فقالت:

- لا أُثني عليك فإنه خير لك. فأبى.

فقالت: فهو غدك إذا اجتمع القوم. فلما اجتمعوا قالت:

أعلمك إذا أكلت احتففت [1]، وإذا شربت اشتففت [2]، وإذا اشتملت التفغت. وأعلمك تشبع ليلة تضاف وتنام ليلة تخاف، وأعلم عينك نؤمة وأستك يقظة وعصاك خشبة ومشيك لبجة [3].

---

(١) احتففت: أكلت بيديك جميعاً بشراهة.

(٢) اشتففت: شرب جميع ما في الإناء من ماء.

(٣) أي يرمي بثقله على الأرض.

امرأة عروة بن الورد

حدَّث محمد بن زياد الأعرابي قال: قالت امرأة عروة بن الورد العبسي بعد أن طلقها في النادي: (وهي تمدحه).

- أما إنك والله الضحوك مقبلاً، السكوت مدبراً، خفيف على ظهر الفرس، ثقيل على متن العدو، رفيع العماد، كثير الرماد، ترضي الأهل والأجانب.

قال: فتزوجها رجلٌ بعده فقال: إثني عليَّ كما أثنيت عليه.

قالت: لا تحوجني إلى ذلك فإني إن قلت قلت حقاً، فأبى فقالت: إن شملتك الالتفاف، وإن شربك الاشتفاف، وإنك لتنام ليلة تخاف وتشبع ليلة تضاف.

مدحت امرأة زوجها

أبو محلم قال: مدحت امرأة زوجها بكرم الأخلاق وخصب الغنائم فقالت لأمها: يا أمه من نشر ثوب الثناء فقد أدى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جحود لما أوجب منه ودخول في كفر النعم.

فقالت لها أمها: أي بنية طيِّبتِ الثناء، وقمتِ بالجزاء، ولم تدعي للذم موضعاً، ولم يذم ولا ثناء إلا بعد اختبار.

قالت: يا أمه، ما مدحت حتى اختبرت، ولا وصفت حتى شممت.

قال الزوج: ما وفيتكِ حقكِ، ولا شكرك إلا بفضلكِ، ولا أثنيت إلا بطيب حسبكِ وكريم نسبكِ، والله أسأل أن يمتعني بها وهب لي منكِ.

فصاحة عائشة الباعونية

هم أمّ عبد الوهاب عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني الدمشقيّ. كانت شاعرة فصيحة مطبوعة المقال، وقد اشتهرت ببديعيّة أنيقة رشيقة طائرة الذكر عند زعماء الأدب تدلّ على قوّة عارضة ناظمتها وعلّو طبقتها في الشعر وحسن تصرّفها وتفننها في أشكال البديع ووسمت منظومتها «بالفتح المبين في مدح الأمين» وعلّقت عليها شرحاً لطيفاً حسناً. قالت:

في حسن مطلع أقمارٍ بذي سلم ... أصبحت في زمرة العشّاق كالعلمِ
أقولُ والدمعُ جارٍ جارحٌ مُقليَ ... والجارُ جارٍ بعذلٍ فيه متّهم
ياللهوى في الهوى روحٌ سمحت بها ... ولم أجدْ رَوْحَ بشرى منهم بهمِ
وفي بكائي لحالٍ حالَ من عدم ... لفّقتُ صبراً فلم يُجدى لمنع دمِي
يا سعدُ إن أبصرت عيناك كاظمةً ... وجبتَ سلعاً فسل عن أهلها القُدمِ[1]
فثمّ أقمار تِمٍّ طالعين على ... طُوَيلعِ حيّهم وأنزل بحيّهمِ

(١) كاظمة: اسم المدينة المنورة. وجارب المكان: يجوبه قطعه. وسلع: علم مكان بأرض الحجاز. وفي البيت جناس مركب الفروق بين سلعاً وسل عن.

وهي طويلة ذات مئة وثلاثين بيتاً منسّقة الألفاظ مرصّفة المعاني وُسِمتْ [١] بطابع الرقة والانسجام ولعائشة شعرٌ جيد غير بديعتها.

ذكاء طبقه وشن

قال الشرقي بن فطامي: كان شن من دهاة العرب، فقال: والله لأطوفن حتى أجد امرأة تناسبني، فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلاً يريد قرية يريدها شن، فصحبه، فلما انطلقا قال له شن: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكبُ الراكبَ، فسارا حتى رأيا زرعاً قد استحصد فقال شن: أترى هذا الزرع قد أُكل أم لا؟ فقال: يا جاهل، أما تراه قائماً. فمرّا بجنازة فقال: أترى صاحبها حيّاً أو ميتاً؟ فقال: ما رأيتُ أجهل منك. أتراهم حملوا إلى القبور حيّاً. ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تسمى طبقة، فقصّ عليها القصة، فقالت: أما قوله: أتحملني أم أحملك، فأراد تحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أكل أم لا، فأراد باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله في الميت، فإنه أراد أترك عقباً يحيا به ذكره أم لا، فخرج الرجل فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليه فزوّجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها، قالوا: وافق شن طبقه.

---

(١) منسقة منظمة ومرصفة محكمة الربط ووسمهُ جعل له سمة أي علامة والطابع ما يطبع به.

أهم المراجع

- أدب الدنيا والدين، للماوردي.
- جواهر الأدب، للهاشمي.
- تحفة العروس، لمحمد الاستانبولي.
- أخبار النساء، لابن القيم الجوزية.
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي.
- المستطرف في كل فن مستطرف، للأبشيهي.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لأبي حاتم محمد البستي.
- حياة الصحابة، لمحمد الكاند هلوي.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه.
- رياض النساء، لمحمود عاصمي.
- كتاب الأذكياء، لابن الجوزي.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم الجوزية.
- المحاسن والمساوئ.

الفهـرس

لاقتراحاتكم وملاحظاتكم..

منصور ناصر العواجي

ص. ب: ١٠٣٤٤٩ الرياض ١١٦٩٥

كتب المؤلف

كتب إسلامية:

١- حكايات من حسن الخاتمة.
٢- حكايات من سوء الخاتمة.
٣- فارق صلاة الفرد والجماعة.
٤- الحجاب عبادة لا عادة.
٥- تحية أهل الجنة.
٦- نساء يضرب بهن المثل.
٧- ذكاء النساء.
٨- روائع من حياة السلف.
٩- معجزات الرسول ﷺ
١٠- تهذيب الوفاء بأحوال المصطفى ﷺ
١١- إيجاز مغازي الواقدي

كتب أدبية وأخرى:

١٢- تحفة الجائزة.
١٣- دنيا المعمرين.
١٤- عادات الشعوب.
١٥- جواهر الجواب القاهر.
١٦- هوايات فريدة وإرادة عنيدة
١٧- لطائف المواهب والهوايات.
١٨- غرائب وعجائب الحيل.
١٩- كنوز وثروات.
٢٠- أجمل المناظرات والمحاورات.
٢١- الكركدية (الشاي المنعش).
٢٢- أعشاب طبيعية.

كتب نوادر وابتسامات:

٢٣- حلية النوادر.
٢٤- النوادر الحسان ج١
٢٥- النوادر الحسان ج٢
٢٦- أحلى الابتسامات.
٢٧- ابتسامات خفيفة.
٢٨- ابتسامات بريئة.

كتب للأطفال والناشئة:

٢٩- أطفال أذكياء جداً.
٣٠- البطل ابن فتحون.
٣١- قتيبة وملك الصين.
٣٢- إسلام جرجه.

كتب أشعار وأناشيد:

٣٣- أعذب الشعر الشعبي والفصيح.
٣٤- المختار من الحكم والأشعار.
٣٥- أجمل القصيد القديم والجديد.
٣٦- عيون الشعر الشعبي.
٣٧- قصائد ذهبية.
٣٨- حلو النشيد (نشيدٌ للجميع).

تابع ←

كتب مسابقات وألغاز:

٣٩- موسوعة حقائق وأرقام.

٤٠- مسابقة الأذكياء (السهل الممتنع).

٤١- موسوعة الألغاز الذهبية.

٤٢- الألغاز الشعبية الشعرية.

٤٣- الألغاز الشعرية في الجزيرة العربية.

كتب تعليمية:

٤٤- كتاب الإملاء سين وجيم.

٤٥- معلم الخط العربي.

٤٦- معلم الخطوط الستة.

٤٧- جماليات الخط العربي.

٤٨- جامع الخط العربي.

٤٩- الفصل المميز.

٥٠- موسوعة الطالب الثقافية ج١.

٥١- موسوعة الطالب الثقافية ج٢.

٥٢- مواقف جميلة في حياة طالب.

كتب قصصية وثقافية:

٥٣- عجائب القصص ج١.

٥٤- عجائب القصص ج٢.

٥٥- قصص وأحداث غريبة.

٥٦- قصص من عجائب الدنيا.

٥٧- قصة الزير سالم.

٥٨- قصة إسلام هؤلاء.

٥٩- المشي رياضة الجميع.

٦٠- المخدرات طريق الضياع.

كتب تحت الطبع:

٦١- قصص كيف أسلموا.

٦٢- موسوعة صور بلادي.

٦٣- قصص حقيقية كالخيال.

٦٤- ابتسم مع الجوال.

٦٥- روائع الأناشيد (إنشاد شادي).

٦٦- عيون الشعر الفصيح.

٦٧- تعلم الفوتوشوب في أسبوع.

تم بحمد الله ...

١٠ ريال

إصدار للمؤلف

